لقاء العدد

الشيخ الأديب ابن إدريس لمجلة الأدب الإسلامي

التوجه الإسلامي لا يضعف واحتضان الصحافة للشعر العامي جعله يطغى

الرياض ـ محرر المجلة:

الشيخ الشاعر عبدالله بن إدريس أديب سعودي مشهور، له نتاجه الأدبي الرائد في مجال التأريخ الأدبي المتمثل في صدور كتابه القيم «شعراء نجد المعاصرون».. كما أن له مشاركاته المتميزة في كتابة الشعر والنثر والنقد الأدبي.. تولى عدة مناصب تعليمية وثقافية، يرأس ـ حالياً ـ النادي الأدبي بالرياض. وفي هذا الحوار يتحدث الشيخ ابن إدريس عن عدد من القضايا الأدبية والنقدية، فذكر رأيه في قضية الالتزام من حيث أهميتها وآثارها الإيجابية والسلبية على الأدب، ويناقش اتهام الأدب الإسلامي بالضعف الفني مرجعاً ذلك إلى قدرة الأديب وليس إلى المضمون.. ثم يذكر علاقة الصحافة بالأدب وأيهما خدم الآخر، والريادة الأدبية وضوابطها.. وأخيراً يوضح موقفه من شعر الحداثة.

ـ ـ ـ

●● كيف ترون قضية الالتزام في الأدب من حيث الأهمية؟ وما مردودها على الأدب بأنواعه سلباً أو ايجاباً؟

■ قضية الالتزام من منظوري الشخصي، حتى لأقول أحدا ما لم يقله، أن يكون الأدب شعره ونثره، مسخراً لخدمة الأمة، مشخصاً لأدوائها، مصوراً لمعاناتها، وهمومها وآلامها، متفاعلاً مع طموحاتها، معبراً عن ذلك بطرق مباشرة، أو بطرق الإيحاء والرمز الشفاف. وأن يكون هذا الأدب الملتزم قادراً على النفاذ نحو الأحاسيس والمشاعر النبيلة والقيم الجميلة في الأمة، من أجل استثارتها واحتدام عزائمها سعيا للسمو والتقدم والتطور النهضوي، وامتطاء صهوة مجدها الغابر، لاستعادة مكانتها في عالم اليوم والغد، جنبا إلى جنب مع الأمم المتطورة في العلم والاختراع والابتكار، وحشد وسائل القوة المختلفة للدفاع عن الدين والأمة والمجتمع، حتى تتحقق لها المنعة فلا تسلب حقوقها، أو يستهان بقيمها وثقافتها التي تحمل خصائصها وسماتها المتميزة.

هذا بعض ما يوحي به معنى الالتزام في الأدب.. ومع ذلك فإن الالتزام الصارم في نتاج الأدب له سلبياته الكثيرة.. والتي من أهمها «الحجر» بهذه الصرامة على الوجدان والمشاعر والعواطف أن تعبر عن ذاتها الطبيعية وفق رؤاها ذات الأبعاد المتنوعة ولكن غير المضادة أو المناقضة للقيم والمثل والأخلاق.

لذلك، من جانبي لا أرى لحق الالتزام، أن يحجر على نتاجي الشعري ـ مثلا ـ أن يكون «وقفا» على قضايا الأمة العامة وحدها.. فللذات حق انطلاقها الطبيعي، ولكن في حدود ما هو غير ممنوع «شرعا».

●● يرى بعض النقاد أن التوجه الإسلامي في الأدب يضعفه فنياً، ويدللون على ذلك بضعف بعض نماذجه المعاصرة، فما رأيكم في هذه القضية؟

■ ليس التوجه الإسلامي هو الذي يضعفه، إذا ما كان الشاعر أو القاص على مستوى الاقتدار القادر، إلا أن

الأدب فنـــــياً على الشعر الفصيح

ظهور الأدب بصيغة الوعظ، أو الدعوة، أو الإرشاد، أو النصيحة، المباشرة هو الذي يضعفه، ولا يجعل له قبولاً لدى المتلقي، الذي يبحث عن الصورة الفنية، واللغة الجيدة، والإبحار به في عالم الإبداع المتشح بالعبارة المجنحة، مع تحقق الرؤية الواضحة، والخيال الموسع لآفاق التجربة الشعورية، فإذا اجتمعت في النص فنية الأسلوب وجودة اللغة، وسلامة الفكرة، والصياغة الجميلة ـ أصبح نصاً جذاباً يمتع القارئ باجتماع هذه الخصائص فيه.. ويعيش داخله ـ داخل النص ـ وكأن هذا النص أو ذاك يتحدث عن معاناة أو تجربة القارئ وليس الشاعر وحده.. أو القاص وحده.

●● الصحافة والأدب، أيهما خدم ـ أو جنى ـ على الآخر؟

■ كل منهما خدم الآخر، وأعطاه جواز التجاوز من حيزه الذي يفترض أن يكون فيه إلى آفاق أرحب، وإلى اهتمام أكثر، وإلى أرضية أوسع من أرضيته التي لولا الآخر لما برحها.

وبقدر ما أعطى أحدهما للآخر فقد لا تخلو العملية من ثمن يدفعه أحد الطرفين للآخر بين آونة وأخرى.

لولا الصحافة ما انتشر الأدب على هذا النطاق الواسع، وجعله يصل إلى كل من يهتم به في يسر وسهولة.. في طول البلاد وعرضها، بل يتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية، ويدخل البيوت من أبوابها، أو حتى من غير أبوابها، كل ذلك بمساعدة الصحافة.

وفي المقابل لولا الأدب لما وزعت الصحافة بالقدر والكميات التي توزع بها، ولولاه لما اهتم الأدباء والمثقفون بالصحافة، ولا بحثوا عنها ولا قرؤوها. ولو تمت هذه القطيعة بينهم وبين الصحافة لأصبح وجهها عابساً يابساً.. لا رونق ولا ماء حياة فيه.. فالأدب يحلي الصحافة، ويزيل جفافها، ويرطب أجواءها، ويجمل أساليبها، ويقوي لغتها، ويروجها لدى فئات عديدة في المجتمع، فهي تكسب منه أكثر مما يكسب هو منها.

وإذا لم يكن بد من ادعاء «الجناية» لأحدهما على الآخر ـ فهي جناية الصحافة على الأدب وليس العكس.

ويتمثل ذلك في نشرها كل «ما يهب ويدب» بحيث يعطي بعض ما تنشره انطباعا سيئا عن مستوى الأدب في هذا القطر أو ذاك.

الصحافة في أيامنا هذه أصبحت «تجارية» تبحث عن الربح بأية وسيلة كانت، ولذلك تجد أن أكثر ما ينشر فيها هو الرياضة، والشعر «العامي» والأخبار الفنية.

ولم تصب الصحافة بنكسة إلا بتجاوزها المعقول والمقبول في الاهتمام والاحتضان للشعر «العامي» الذي طغى على كل ماعداه من مواد الصحف والمجلات التي تخصصت في نشر «العامي» بحيث أصبحنا وكأننا شعب «عامي» لا يعرف ولا يقرأ إلا هذا النوع من الشعر.. وكأن المليارات التي صرفتها ولازالت تصرفها الدولة على تعليم اللغة العربية، قد أصبحت في «خبر كان»

ولتوضيح وجهة نظري هنا، ولأنني متهم من أنصار الشعر العامي بأني «ضده»! أقول «للمرة الألف» إنني لست ضد الشعر العامي كشعر فيه الجيد وفيه الرديء كالشعر العربي

أؤيد الحداثة التي لا تتنافى مع القيم الإسلامية.

الفصيح، ومن حق كل إنسان أن يعبر عن ذاته بما شاء وما يقدر عليه من تعبير.. ولكني ضد نشر كل ما هو «هابّ ودابّ» منه أو بخاصة شعر المراهقين الذي لا يحمل تجارب حياتية، سوى ما تحمله عقلية ووجدان المراهق حتى في «حبه» الذي لم ينضج بعد!! ومن هنا تكون «جناية» الصحافة على الأدب جناية لا تغتفر أبداً، إلا بإيقافها عند حدها، وعدم طغيانها على المنتج باللغة الفصحى، وإيقاف سيلها الجارف!

●● الريادة الأدبية الإبداعية والنقدية - وأنتم من الرواد - لمن تعطى؟ وماضوابطها؟

■ الريادة تعطى لمن أعطى، تعطى لمن «راد» وأحسن في ريادته. إذ يعلم بالضرورة أن «الريادة» يوصف بها من سبق غيره في القيام بأي عمل، أو نتاج علمي، أو أدبي، أو ثقافي، ولمن صدق في ريادته، وأخلص في فنه، ونجح فيما «راده» من إبداع خدم به دينه، ووطنه، وثقافة أمته، وكان على مستوى الموضوع الذي أبدعه وأنتجه.

وقديما قالت العرب «الرائد لا يكذب أهله» بمعنى أنه يقول الحق، وينطق الصدق، في تجلية الواقع وتحليله، والإيماء إلى إشراقاته وانطفاءاته.

وأنا لست من رواد الشعر في المملكة العربية السعودية، فالشعر متتابع منذ حوالي ألفي سنة، ولا يصح أن يسمى فيه أي شاعر بأنه «رائد» في الشعر. وما «**وسام الريادة والميدالية الذهبية**» التي منحها لي المؤتمر الأول للأدباء السعوديين عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م إلا على كتابي الرائد «**شعراء نجد المعاصرون**» الذي هو أول كتاب صدر في «نجد» عام ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م أما الشعراء فلا يصح في رأيي - أن يسمى أحد منهم رائداً، وإنما يمكن أن يصنفوا أجيالا، فيقال «الجيل الأول» نسبة إلى تاريخ معين محدد، والجيل الثاني والثالث، وهكذا.

●● بصفتك أحد شعراء الأصالة الكبار في المملكة العربية السعودية، وبصفتك كذلك «رئيس النادي الأدبي بالرياض» ما هو موقفك الشخصي من الحداثة» وخاصة في الشعر؟ ثم ما مدى تفاعلها وتغلغلها في نشاطات النادي؟ وهل تفتح أبواب النادي لكل النشاطات الشعرية: الأصيل منها والحداثي؟ أم لك توجه معين تسند به طرفاً ضد الآخر..؟

■ أغلب المثقفين والقراء يعرفون عني جيداً انفتاح أفقي لجميع النتاجات الأدبية الاصيلة منها والحديثة، فأنا مع الأصالة، وفي نفس الوقت مع الحداثة التي تعني التجديد وعدم الجمود على ماورثناه من أساليب وأشكال وصياغات تراثية، فالشعر ليس كتابا منزلا من عند الله لايجوز التغيير والتحوير والتبديل فيه. إنني من مؤيدي الحداثة التي لا تتنافى مع القيم الإسلامية، ولا تتنكر لثقافة الأمة وقيمها الخالدة التي يأتي على قمتها القرآن والسنة النبوية، ومن هذه القناعة الفكرية عندي، تجد أن نشاطات النادي الأدبي بالرياض تحفل بجميع أنواع النتاج الأدبي والثقافي الأصيل منه والحديث. ويتمثل ذلك في محاضراته، وفي أمسياته الشعرية والقصصية، وخاصة في «**ورشته الاثنينية**» الأسبوعية.

كما يتمثل ذلك في مجلته «**قوافل**» الفصلية و«**الأدبية**» الشهرية وفي الكتب والدواوين والدراسات التي يصدرها تباعا وتوزع من قبل شركة التوزيع الموحدة في جميع أنحاء المملكة، كما تصل كميات منها إلى الأقطار العربية بطلبات من المهتمين والمعنيين بها الذين يتابعونها باستمرار.

□□□

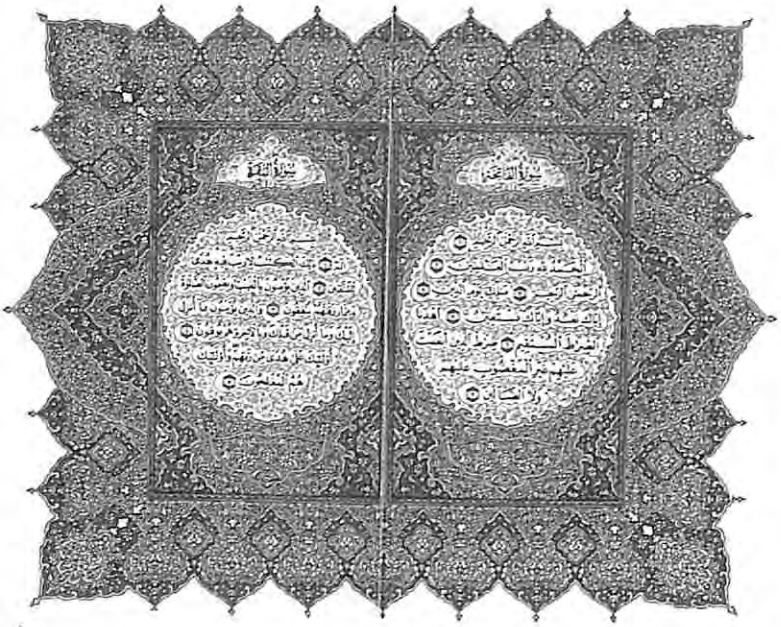

القرآن الكريم

إنْ ضـقْتُ يومـاً أو ضَلَلْتُ طريقي
أنتَ الملاذُ وأنـت خـيـرُ رفـيقِ.
وإنِ الَظلامُ التفَّ حـولي موحـشاً
أعطيـتَـني نوراً يضيء طـريقي.
وإذا الهمومُ مع الشجون تضافرت
تمحو همومي بـل وتُذهب ضيقي.
إني سَئمتُ منَ الصّحـاب مجالساً
وَسُرِرْتُ إذْ أصبْحتَ أنتَ صديقي.
نورَ الإله نزلـتَ حـقـاً خـالصـاً
تنجي وتنقـذُ من عـذاب حـريق.
للهِ كم أحـيَـيْتَ كم أنـقـذت مَنْ
قـد كَـان قـبلُ كَـمـيّت وغـريق!
فـإذا تلوتُ الآيَ بتُّ مُـحَلـقًـا
أسـمـو، ومـا أحـلاهُ من تحليق!
وإذا ظمـئت إلى المواعظ والصفـا
لازمـتُ وِرْدَكَ كـي أبلّـل ريـقـي.
إذ أنْتَ نبـعٌ لا يغـيـضُ ويرتوي
منه العِطاشُ، وفـيكَ خيـرُ رحيقِ

أحمد بشار بركات*

* أديب وشاعر سوري له أكثر من ديوان تحت الطبع، وله دراسات ومقالات أدبية ونقدية منشورة